

بَأْتِكَ لَمَّا اسْحَنْكَكَ الْأَمْرُ وَاكْتَسَى أَهَابِي تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ (١٧)  
وقد يستخدم ألفاظاً رديئة جداً كقولهِ :

تالله ما أحلى مرأثيفها على حَنِكِ وَأَجْمَلَهَا عَلَى نُتْجَمَلِ (١٨)  
فلو قال على شفة أو نحوها لكان أقرب .

ومع أن المتنبي بالغ في ذلك إلا أن أبا تمام هو الذي يقع عليه اللوم أساساً باعتباره رأس المدرسة ، ومن هنا جاء في العمدة ، قال بعض من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب : إنما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ، ويتحرج خوفاً على دينه . وأبو الطيب كالمملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريد لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع (١٩) . ولقد تعرض لهذه القضية صاحب الوساطة (٢٠) فقال عنه إنه تعجرف وتشبه بالبدو « ونسى أنه حضري متأدب وقروي متكلف » . وقد تعرض ابن الأثير لهذا لا في شعره فقط ولكن في مختاراته من الشعر (٢١) . وقد ذكر صاحب الصناعتين إنه كان يتتبع حوشى الكلام ويدخله في شعره . والذي لا شك فيه أن كثيراً من الألفاظ الحوشية تصاعد إليه بتأثير قراءاته الطويلة المستوعبة ، ونحن نعرف أنه كان وراءه تراث غليظ يتمثل أكثر ما يتمثل في الأراجيز التي يقال إنه حفظ منها أربعين ألف أرجوزة ، وهنا يقول الدكتور عبده بدوى : « من المعروف أن الرجزان يتقرون في اللغة ، ويفوصون غوصاً شديداً على الغريب ، وقد كان هذا وراء قاموسه الغريب الذي نعرف منه ألفاظاً مثل : اسحنقر ، ابذعر ، طلخف ، اشمعل » (٢٢) .

(١٧) المصدر نفسه ١ : ٢١٠ . واسحنكك : أسود ، وأهابي : جمع إهاب وهو الغبار .

(١٨) المصدر نفسه ٣ : ٤٠ .

(١٩) العمدة ١ : ١١٣ .

(٢٠) الوساطة ٧٠ .

(٢١) الاستدراك ١٨ وما بعدها .

(٢٢) أبو تمام وقضية التجديد في الشعر ١٠٦ .